

المحاضرة الخامسة: السرد الفلسفي

السرد الفلسفي هو واحد من روائع المكتبة الفلسفية الإسلامية ، وهو احدى الكتابات الرائدة في مجال الرواية الفلسفية أو القصة الفلسفية حيث يمتزج سرد الأحداث بالأراء الفلسفية في قالب قصصي شائق يجعل أعقد المسائل تصل الى قارئها في أبسط صورة وأوضح عبارة دون كلل ولا ملل .

تبدأ حركية الفكر الفلسفي الإسلامي في حدود القرن 3هـ / 9م ، وذلك من خلال الفيلسوف العربي . " أبو يوسف يعقوب ابن إسحاق الكندي " الملقب بفيلسوف العرب وذلك بعد ان استوعبت تلك الحركة قضايا علم الكلام والإشكاليات التي طرحتها الفرق المتكلمة بعد أن بدأت حركة الترجمة خاصة من التراث اليوناني ، وبالخصوص الجانب الفلسفي وهكذا تؤسس تلك الحركة الفلسفية مجالها المعرفي و اشكالياتها الاجتماعية : إشكالية العقل والنقل ، الشرع والحكمة ، الفلسفة والدين¹ .

ثم تتقدم هذه الحركة مع الفيلسوف الفارابي بحيث يبدأ الحوار حول القضايا التي طرحتها الفلسفة اليونانية والقضايا الاجتماعية أو السياسية² ، وبعده يأتي "ابن سينا" صاحب الشفاء والقانون هذا التيار الفلسفي العقلي يتمشى مع تيار نظري يأخذ من الذوق والكشف طريقا للوصول إلى الحقيقة والذي يبدأ بالتصوف الزهدي لينتقل إلى مرحلة أعلى هي مرحلة التصوف النظري الفلسفي مع الحلاج مثلا في المشرق العربي .

رسالة حي بن يقظان :

تعد هذه القصة جوابا عن سؤال حول موضوع الفاسفة الاشرافية ،ابن طفيل اتخذ من الاسلوب الرمزي القصصي وسيلة لاجابة سائلة عن معنى الفلسفة الاشرافية ومن هنا كان "ابن طفيل" هو البطل الاشكالي لتلك القصة³ .

01: حي بن يقظان لؤلؤة التراث :

إحدى روائع الأدب العربي الأندلسي في الفكر الإسلامي ، كتبها محمد بن عبد الملك بن طفيل في اسبانيا الإسلامية " الأندلس " في منتصف القرن 6هـ / 12 م وصفها النقاد بأنها أعظم وأجمل قصة فلسفية صوفية رمزية اضطلعت بها العصور الوسطى لذا فقد شغف بقراءتها الأدباء والفلاسفة والمتصوفة والمفكرون على مر العصور ، مما جعلها لؤلؤة التراث ، كما أثارت حفيظة وقريحة المترجمين فدخلت الى لغات أجنبية لم تعهدها العربية من قبل حتى وصلت الى أكثر من أربعين لغة حية حتى يومنا هذا ، لا ينافسها أي عمل عربي آخر إلا حكايات ألف ليلة وليلة⁴ .

02 - ترجمات :

ترجمت هذه القصة الفريدة الى العبرية في القرن 14 م ، وترجمت إلى اللاتينية واللغات الأوروبية الحديثة، وقد كان لتلك الترجمات المبكرة تأثير في الفكر الأوربي بصفة عامة في نواح مختلفة من الأدب والفلسفة والتصوف والنظريات الفكرية والعلمية والتربوية ، وكانت الرواية هي أكثر المجالات الأدبية تأثرا بقصة حي بن يقظان وقد ساعد على ذلك ظهور الترجمات الأوروبية المختلفة للقصة وانتشارها متزامنة مع ميلاد الرواية الأوروبية في القرن 18 م⁵ .

03 - القضايا الأساسية لقصة حي ابن يقظان :

1.3 - اتفاق العقل مع الدين :

يمثل حي ابن يقظان العقل الحر الذي يصل الى معرفة الخالق وأسرار الكون وقد تدرج في الوصول الى هذه المعرفة من خلال ثلاث مراحل :

- المعرفة العقلية
- المعرفة الباطنية
- المعرفة الظاهرية .

2.3 - معرفة قدم العالم أو حدوثه

3.3 - قضية المعرفة الانسانية .

4.3 - وصول "ابن طفيل" الى الاجابة عن السؤال المتعلق بالفلسفة الاشراقية : كما

يذكرنا بجهود الامام " الغزالي " و "ابن سينا" و "ابن باجة" ويرى نفسه مكملا للفلسفة التي بأها "ابن سينا" في فلسفته الاشراقية .

حي ابن يقظان لابن سينا :

ألف ابن سينا "قصة حي ابن يقظان حيث كان لها الأثر البالغ في الآداب العالمية وذلك نظرا لما تحمله من دلالات رمزية صوفية تعكس كيف يمكن للعقل الانسان ان يصل الى معرفة الخالق عند طريق التدبر والتأمل في الكون وأسراره ، ترجمت لهذه القصة الفلسفية الصوفية الى اللغة العبرية ، كما نقلت الى الآداب الفارسي والآداب الأوروبية⁶ .

04 - حي ابن يقظان والجانب الفلسفي :

حي بن يقظان قصة فلسفية تشتمل على فلسفة ابن طفيل ، وقد ضمنها آراءه ونظرياته ، وتدور القصة حول " حي بن يقظان " الذي نشأ في جزيرة من جزر الهند تحت خط الاستواء منعزلا عن الناس في حضان طبية قامت بتربيته وتأمين غذائه حتى تدرج في المشي وأخذ يحاكي أصوات الحيوانات والطيور ، ويهتدي الى مثل أفعال الحيوانات ، بتقليد غرائزها . شب الفتى متوقداً الذكاء ، عظيم المهارة ، فكان يصنع حذائه وأتوابه بنفسه من جلود الحيوانات ، وشرح الحيوانات الميتة والحية ، حتى صل الى أرقى ما وصل إليه المشتغلين بعلم الأحياء ، ثم انتقل من العلوم الطبيعية إلى الفلسفة والدين ، وأثبت لنفسه وجود خالق قادر على كل شيء ، ثم عاش عيشة الزهاد وحرّم على نفسه أكل اللحوم

واستطاع أن يتصل اتصالاً روحياً بالعقل الفعال، وأصبح حي بعد بلوغه سن التاسعة والأربعين متأهباً لتعليم غيره من الناس⁷.

05 - القالب الروائي : وضع ابن طفيل آراءه القائلة بعدم التعارض بين العقل والشريعة وبين الشريعة وبين الفلسفة والدين في قالب قصصي روائي وتمثل القصة العقل الإنساني الذي يغمر نور العالم فيصل إلى حقائق الكون والوجود بالفطرة والتأمل بعد أن تلقاها الإنسان عن طريق النبوة كما تؤكد القصة أهمية التجربة الذاتية في الخبرة الفكرية والدينية⁸.

06 - اسلوب السرد في القصة :

هو السرد الفلسفي الذي يعالج قضايا فلسفية لتساؤلات طرحت حول الفلسفة ، و خلاصة التساؤل الجوهرى المتعلق بالفلسفة الاشرافية ، كما ينقد الفلاسفة المسلمين نقدا بناءا ومن ذلك :

*نقد نظرية الاتصال لابن ماجة ، نقد السعادة للفارابي ،نقد ابن سينا

* نقد الشيخ أبي حامد الغزالي .